الفصل الثامن

مدرسة التاريخ الحديث في القرنيين التاسع عشر والعشرين

ارتبطت حركة التأليف التاريخى فى مصر قبيل ظهور المدرسة التاريخية الحديثة بالاهتمام بذكر سير العظماء وغرائب الحوادث وتاريخ الملوك والساسة والحكام والافاضة فى التعرض لمولدهم وذكر سيرتهم الذاتية من حيث بيان نشأتهم ووصف حفلات زفافهم والاسهاب فى ذكر روحاتهم وغدواتهم ، وابراز محاسنهم وتبرير اخطائهم ، حتى مظاهر الأبهة والفخامة التى كانوا يحاطون بها عقب وفاتهم لم يغفلوها بل قاموا بطلائها بطلاء مذهب أما تاريخ الشعوب والأمم ، وتصوير مشاعر الناس على اسس من الحق وعدم الانحياز لارضاء الحاكمين أو التملق لهم فلم يحظ بمثل هذا الاهتمام ، ولم تسلط الأضواء على احوال الناس وبخاصة الاجتماعية والاقتصادية ، على الرغم من أن الشعوب هى التى صنعت التاريخ ، وكانت الطاقة الحقيقية له حتى جعلته يتوهج أو يخبو ولم يكن الملك أو الحاكم الا واجهة تعبر عن ذلك .

يضاف الى ذلك أن هؤلاء المؤرخين لم يسخروا طاقاتهم لخدمة مصالح وطنهم على أسس من الحق والحكم على الوقائع بطريقة موضوعية . واستمر الحال على هذا المنوال فترة حتى برزت النهضة التاريخية الحديثة، واخذ المؤرخون فى توجيه جهودهم الى تاريخ حياة الشعوب واحوالها بما فيها من مباهج ومآس ، والى اتجاهاتهم الفكرية وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومظاهر حياتهم المختلفة بخيرها وشرها حتى صار تاريخ الملوك والحكام لا يذكر الا من خلال الحديث عن شعوبهم .

ولما كانت الركائز السياسية فى كتابة التاريخ تتمثل فى الصدق والموضوعية وتهيئة السبل كلها للحق فقد بدأ المؤرخ المصرى عبد الرحمن

الجبرتى [١] فى سلوك هذا الاتجاه نذكر فى كتابيه الهامين « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » [٢] و « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » [٣] الحقائق التاريخية دون مواراة او مجاملة لحاكم او لغيره، وعالج مشاكل الحياة والمجتمع المصرى معالجة البصير بالأمور ، وحكم عليها حكما مقبولا مما جعل البعض يصف ما كتبه بانه « أعظم تواريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر » الهجريين [٤] . وانه تاريخ ممتاز للحوادث التى وقعت فى مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر .

---

(١) حبشى الأصل مصرى الوطن ، نشأ فى بيت علم وثراء ، وكان بيت والده موئل العلماء ومقصد الكبراء ، وكان لنشأته فى بيئة علمية دينية ما جعل كتابته تتسم بسمة مشايخ العصر وقد عاش الجبرتى فى عصر يمكن وصفه بانه عصر انتقال مصر من حياة العصور الوسطى الى العصور الحديثة ، ومن هنا صور فيما كتبه مصر عند مفترق الطرق ، وقدم لنا المرآه التى نرى على صفحتها الانتقال من عالم حكم عليه بالزوال الى عالم جديد كان لابد من الدخول فيه .

من تقديم شفيق غربال لكتاب عجائب الآثار الذى قام بتحقيقه نخبة من رجالات التربية والتعليم ونشر فى عام ١٩٥٨ .

(٢) طبع عدة طبعات كانت أولاها فى مطبعة بولاق عام ١٢٩٧ هـ والثانية فى المطبعة الشرفية فى عام ١٣٢٣ هـ وكلتاهما فى اربعة اجزاء ، ثم توالى بعد ذلك طبعه . وترجم هذا الكتاب الى الفرنسية فى تسعة أجزاء فى عام ١٨٨٨ وقامت وزارة التربية والتعليم بتحقيقه تحت اشراف المرحوم محمد شفيق غربال ونشرته فى عام ١٩٥٨ .

(٣) يؤرخ هذا الكتاب للحملة الفرنسية على مصر ، وكان الجبرتى قد اهداه الى يوسف باشا القائد العثمانى الذى دخل القاهرة فى اعقاب خروج الفرنسيين منها . وقد قامت وزارة التربية والتعليم بنشره وتحقيقه فى عام ١٩٦١ .

(٤) راجع ما كتبه « مكدونالد Macdonald » فى ترجمته للجبرتى فى دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « جبرتى » .

وما كتبه لين فى كتابه Modern, Egyptian ومن المعروف ان الجبرتى سجل تاريخه بطرقة الحوليات طبقا لمنهج حديث يتسم بالدقة والموضوعية .

ويمكن ان نرجع ذلك الى ما يلى :

١ — ان ما كتبه الجبرتى يعد وثيقة هامة حول التأثير الموضوعى للحملة الفرنسية على مصر .

٢ — انه يقدم صورة واقعية للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت سائدة بين أفراد المجتمع المصرى فى ذلك الوقت ومدى ما يكنه أفراد الشعب المصرى للمماليك من كراهية .

٣ — موضوعية الجبرتى فى كتابته فعلى الرغم من كراهيته للفرنسيين فانه كان يشيد بالمظاهر الايجابية فى سياستهم مثل فكرة المساواة بين الناس أمام القانون ورفضهم للسخرة وتشكيلهم للديوان واهتمامهم بصياغة النظام القضائى وعدالتهم فى الأحكام خاصة اثناء محاكمتهم لسليمان الحلبى قاتل كليبر .

٤ — انتقاده لسياسة محمد على فى مصر ، وموقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية ، على الرغم من انه يعلم جيدا ان ذلك سيسبب له المتاعب ، وقد يعرض حياته ، وحياة اسرته للخطر . ومن المعروف ان ذلك . قد جلب عليه الضرر البليغ ففقد ابنه خليل الذى قتله جنود محمد على اثناء صلاة الفجر ثم فقده بصره حزنا وكمدا على ابنه ، بضافة الى ذلك ان منزله أحرق بعد وفاته بسبب كتاباته المعادية لمحمد على ونتيجة لذلك نفر المصريون من كتابة تاريخهم الحديث حتى لا يقعوا تحت طائلة اضطهاد أسرة محمد على كما حدث للجبرتى ، وكرهت أسرة محمد على أيضا ان يشتغل المصريون بدراسة تاريخهم الحديث ، وخاصة انهم كانوا يريدون الا يدون من تاريخهم سوى ما يروقهم ، وأن يكتب المؤرخ التاريخ على الصورة التى ترضيهم ولا تغضبهم .

ومن هنا ابتعد المصريون عن كتابة تاريخ بلادهم السياسى واخذ بعضهم فى تنمية ميوله وثقافته عن طريق ترجمة بعض الكتب التى تغطى تاريخ العالم منذ اقدم العصور او التى تتطرق الى الأمور الثقافية والتربوية

والأدبية كما فعل رفاعه الطهطاوى وتلاميذه [٥] فقد اصدر رفاعه بجانب المؤلفات التى ترجمها هو وتلاميذه عدة مؤلفات مشهورة حاول فيها قدر الامكان عدم التعرض لواقع مصر المعاصر او لأسرة محمد على فتطـرق للكتابة فى تاريخ مصر القديم وفى السيرة النبوية فكتب فى تاريخ القـديم « انوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل » وفيه تعرض لعصـور الفراعنة والبطالمة والرومان والبيزنطيين وختمه بالفتح العـربى لمصر وكتب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا بعنوان « سيرة ساكن الحجاز » تتبع فيه حياة الرسول منذ مولده الى وفاته .

ولرفاعة غير هذين الكتابين مؤلفات لها قيمتها التاريخية فحول رحلتـه الى باريس كتب « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » وحول مـا يخص آداب عصره وتربية الناشئة كتب « مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية و « المرشد الأمين فى تهذيب البنات والبنين » .

هذا الى جانب اصداره لأول مجلة ثقافية علميـة تصـدر فى مصر فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بالاشتراك مع على باشا مبارك وهى « مجلة روضة المدارس المصرية » التى صدر العدد الأول منهـا فى الخامس عشر من المحرم عام ١٢٨٧ هـ الموافق ابريل ١٨٧٠ م والتى كانت تطرح تساؤلات عدة أهمها : على أى منهج يكون تحول مصر الحضارى ؟ هل نعود الى الماضى وننعم بالعيش فى فردوسه المفقود ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز قفزا الى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ؟ وكان الجواب حاضرا تجسده شخصية رفاعة الطهطاوى الذى كان ثمرة ناضجة من ثمار امتزاج الماضى بالحاضر ، وتكوين مركب جديد فيه أنضر ما فى الماضى من صفحات ، وأعذب فى الحاضر من منجزات [٦] .

---

(٥) للتفاصيل انظر جمال الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥١ ، ص ١٥١ — ١٥٤ .

(٦) محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقى : روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ص ١٣ .

كما انكب بعضهم على دراسة تاريخ مصر العمرانى والاجتماعى والتعليمى كما فعل على مبارك فى كتابه « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة » [٧] . والذى يعد من اهم المصادر فى دراسة تاريخ مصر الاجتماعى فى القرن التاسع عشر هذا الى جانب ان انشاء مجلة روضة المدارس كانت من وحى على مبارك وثمار تفكيره حين كان وزيرا للمعارف وهو الذى عهد الى رفاعه الطهطاوى بأن تكون تحت نظارته .

ومن المعروف ان هذه المجلة اهتمت بالتاريخ وحرصت على نشر الجداول التاريخية لوقائع العالمية الشهيرة والحوادث الكبيرة ، كما تطرقت فى موضوعاتها الى بيان سلاطين آل عثمان الى عهد السلطان عبد المجيد خان .

يضاف الى ذلك ان على مبارك ألف كتبا عديدة فى العلوم والثقافة منها « تقريب الهندسة » ، « ورواية علم الدين » [٨] وكتاب « حقائق الاخبار فى أوصاف البحار » [٩] وكتاب « تنوير الافهام فى تغذى الأجسام » وكتاب « خواص الأعداد » وسارت الأمور على هذا المنوال

---

(٧) أراد على مبارك أن يكمل فى هذا الكتاب ما كتبه المقريزى فى خططه ، وهو عبارة عن موسوعة هامة تضم العديد من التراجم للاعلام ، كما تتناول معلومات هامة عن القرى والمدن المصرية بما فيها من مؤسسات دينية وثقافية خلال القرن التاسع عشر .

(٨) قصة فى اربعة مجلدات قسمت الى مسامرات بلغت ١٢٥ مسامرة وتدور حول رجل ازهرى تتلمذ عليه مستشرق انجليزى تعلم منه العربية وعلمه الانجليزية وسافر معه الى انجلترا ومن خلال ذلك يرصد على مبارك أهمية الاحتكاك الحضارى بين الشعوب .

(٩) طبع فى مطبعة وادى النيل ، ويبلغ عدد صفحاته ٨١ صفحة .

فترة فكتب اسماعيل سرهنك [١٠] حقائق الأخبار عن دول البحـــــار تعرض فيه لبعض الدول البحرية القديمة والحديثة ، فتكلم عن موقعهـا الجغرافى وأرخ لثغورها الحربية والتجارية ثم تعرض لتأسيسها ومشاهير ملوكها ، وما عاصرهم من الأحداث ولعل أهم أجزاء هذا الكتاب هو الجزء الثانى الذى انفرد تاريخ مصر بالقسط الأكبر منه .. وترجع أهميته الى أنه ملىء بالبيانات والاحصاءات والوثائق الهامة هذا الى جانب تعرضـه لتراجم عديدة لمشاهير البحرية والجيش المصرى فى القرن التاسع عشر . وقد ساعد سرهنك فى تأليف هذا الكتاب ثقافته العسكرية ودراسته البحرية لعلوم الفلك والجغرافيا والرياضيات وفن الملاحة هذا الى جانب استيعابه للعديد من اللغات ومن أهمها العربية والتركية والانجليزية والفرنسية .

ونتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مـــرت بها مصر فى أواخـــر عصر اسماعيل والاحتكاك المباشر بين ثقافة الشرق وثقافة الغـــرب ثم حضور جمال الدين الأفغانى الى مصر ، وظهور الصحف السياسية ، كان لكل ذلك أكبر الأثر فى ظهور طبقة من المصريين البارزين فى مجالات الفكر والسياسة والزعامة أمثال محمد عبده وعبد الله النـديم والبارودى ، وأحمد عرابى ، ومصطفى كامل ، ومحمد فـريد وغـــيرهم فبذروا بذور النهضة واعدوا خمائرها وقامت على اكتافهم الحركة الوطنية المصرية وبدءوا يكتبون فيما يجيش فى صدورهم من موضوعات سياســية ووطنية ، فكان لذلك أثره فى ظهور ثورة فكرية ، والى تطلع الناس الى الحرية والنظم الدستورية ، وقد ظهـــر ذلك فى أواخـــر عصر اسماعيل ثم اتسع مداه فى أوائل عصر توفيق وبخاصة فى أثناء الثورة العرابيـــة فبدأ هؤلاء يكتبون عما يعانيه وطنهم من آلام ، وما يجيش فى صدره من

---

(١٠) ولد فى عام ١٨٧٦ والتحق بالمدرسة البحرية بعد اتمام دراسته الابتدائية ، وتخرج ضابطا منها ، وتولى قيادة كثير من سفن الاســطول المصرى ، وشارك فى العديد من العمليات الحربية البحرية .

(١١) يتكون من ثلاثة أجزاء طبع الجزء الأول فى مطبعة بولاق عـــام ١٨٩٦ وطبع الجزء الثانى فى عام ١٨٩٨ أما الجزء الثالث فقد طبع فى عـــام ١٩٢٣ أى بعد صدور كتاب على مبارك « حقائق الأخبار فى أوصاف البحار » بربع قرن تقريبا .

آمال بهدف حفز الهمم وايقاظ العقول ، وتقوية الوعى الوطنى لدى ابنـاء الشعب المصرى فكتب محمد عبده « تاريخ أسباب الثورة العرابية » وكتب أحمـد عرابى « كشف الستار عن سر الأسرار » وكتب عبد الله النديـم مقالاته اللاذعـة فى جرائد « التنكيت والتبكيت » و « الطـائف » و « الأستاذ » ومؤلفاته الأخـرى ومنها « تاريخ مصر فى هذا العصر » و « كان ويكون » و « المسامير » و « سلافة النديم » وكتب محمود فهمى المهندس فى منفاه « البحر الزاخـر فى تاريخ العالم واخبار الأوائل والأواخر» وقد دافع هؤلاء القـادة عن الثـورة وبرروا أسباب فشلها كما هاجموا التدخل الأجنبى لبلادهم ، ثم تبعهم فى ذلك من تحمل عبء الكفاح من بعدهم فكتب مصطفى كامل الى جانب مذكراته العديد من المؤلفات منها « المسألة الشرقية » و « بلاد الشمس المشرقة » [١٢] وكتب محمد فـريد بالاضافة الى مذكراته « تاريخ الدولة العلية العثمانية » و « البهجـة التوفيقيـة فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية » ويتضح من هذه الكتابات أن مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما من رجالات الحـزب الوطنى قد اتخـذوا من دراستهم القانونية ومن وقائع التاريخ المصرى حججا لاثبات عدم شرعية الاحتلال البريطانى ، وتبعية مصر للدولة العثمانية .

وجملة القول أن كتابات ومذكرات قادة الثورة العرابية وزعمـاء الحزب الوطنى كان لها اكبـر الأثر فى تنمية الوعى التاريخى لدى الشعب المصرى ، وخصوصا أنه فى أعقاب الاحتلال الانجليزى لمصر تخرج الطلاب من المدارس العالية وهم لا يعرفون من تاريخ بلادهم سوى النذر اليسير حتى المناهج التاريخية التى لقنت لهم ركزت اهتمامها على الغـرب اكثـر من عنايتها بتاريخ مصر وحضارتها وكان التاريخ المصرى يعرض على الطلاب عرضا جافا مختصرا بشكل مخل دون تناسق أو ارتباط بين أجزائه المختلفة وبقـى الحـال على ذلك حتى ظهـرت الاحـزاب السياسـية فى مصـر واخـذ تأثير العـاطفة السياسـية لدى بعض الكتاب يدفعهم الى التأثر بلون من الوان الحزبية ، فيمدح هذا حزبه ويبرر ذلك مواقفه ثم يأتى كاتب آخـر ويذم هذا الحزب وينهمه بالتقصير ، وقد سـاعد على

---

(١٢) يعنى بها اليابان .

استمرار هذه النزعة غير العلمية أن مدرسة التاريخ الحديث لم تقم فى بداية أمرها على اكتاف مؤرخين متخصصين فى كتابة التاريخ ودراسته فباستثناء عبد الرحمن الجبرتى ورفاعة الطهطاوى قامت هذه المدرسة على اكتاف الهواة الذين كتبوا التاريخ المصرى اشباعا لرغبة ، لا التزاما بمهنة فمثلا نجد أن عبد الرحمن الرافعى الذى كتب العديد من المؤلفات فى تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية وحتى ثورة ٢٣ يوليو كانت مهنته الرئيسية هى المحاماة ، وينطبق ذلك أيضا على بعض زعماء الحزب الوطنى أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد فقد كانا من الحقوقيين أيضا ومع ذلك كتبا ما أثار الطريق لحقبة هامة من تاريخ حركة الكفاح الوطنى فى مصر فى بدايات القرن العشرين والمتمثلة فى تاريخ الحزب الوطنى بصفة خاصة والأدلة على ذلك واضحة نذكر منها .

١ ـ أن الرافعى عندما بدأ مشروعه المهم فى كتابه موسوعة تاريخ مصر [١٣] لم يكن يهدف فى المقام الأول سوى الترجمة للزعيم الوطنى مصطفى

---

(١٣) مؤلفات الرافعى فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر عديدة نذكر منها .

(أ) تاريخ الحركة القومية (جزءان) ويتضمن بدايات ظهور الحركة القومية فى مصر والمقاومة الشعبية التى واجهت الحملة الفرنسية وتاريخ مصر القومى الى ولاية محمد على .

(ب) عصر محمد على .

(ت) عصر اسماعيل (جزءان) ويشتمل على عهد عباس وسعيد واسماعيل .

(ث) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى .

(ج) مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٨٩٢ الى ١٩٠٨ .

(ح) محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ويشتمل على تاريخ مصر القومى من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩١٩ .

(خ) ثورة سنة ١٩١٩ ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩١٩ الى ١٩٢١ .

(د) فى أعقاب الثورة المصرية (ثلاثة اجزاء) ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩٢١ الى عام ١٩٥٢ .

(ز) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كامل وللحزب الوطنى ومن هنا رأى أن يبدأ بالحركة الوطنية فى مصر منذ بدايتها حتى اذا انتهى الى عصر مصطفى كامل كان من اليسير عليه أن يضعه فى مكانه اللائق به بين زعماء الحركة الوطنية ، ومن هنا بدأ كتابته بعرض لتطور الحركة القومية منذ بداية الحملة الفرنسية ١٧٩٨ والمقاومة الشعبية الباسلة للاحتلال الفرنسى وانتهى الى الكتابة عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وطريقة الرافعى فى الكتابة التاريخية هى تتبع الحوادث تتبعا زمنيا ، والحكم عليها بطريقة الميزان ذى الكفتين أى طريقة وضع الحسنات فى احدى كفتى الميزان والسيئات فى الكفة الأخرى .

ومما يؤخذ على هذه الطريقة ان العدالة فى الأحكام التاريخية لا تتحقق بالسهولة التى يراها الرافعى ولذلك فقد اتسمت أحكامه أحيانا بالبعد عن الموضوعية والانصاف .

يضاف الى ذلك أن بعض كتاباته تأثرت بلون من الوان الحزبية ، فكل ما فعله الحزب الوطنى من وجهة نظره صحيح ، وما سواه من الأحزاب فانه يعامل بحسب مواقفه من الحزب الوطنى وزعاماته وآرائه فمثلا لم يكن الرافعى يرى الرأى القائل بالمفاوضة لتسوية العلاقات المصرية البريطانية ، وينكر ذلك على الوفد ويعاتبه أحيانا ، ويعنفه أحيانا أخرى وذلك لأن أحد مبادىء الحزب الوطنى كانت لا مفاوضة الا بعد الجلاء . والى جانب ذلك كان الرافعى ينظر الى حزب الأحرار الدستوريين على أن رجاله وصوليون ، ونفعيون ورجعيون .

ومع كل ذلك ، فمن المنطقى أن نعترف بالدور البارز الذى أنار به الرافعى طريق المعرفة التاريخية لجيل من الشباب المصريين وبالمجهود الضخم الذى قدمه من أجل تاريخ أمته فقد بقيت مؤلفاته حوالى نصف قرن مرجعا هاما لكل من يرغب فى معرفة تاريخ الوطنية المصرية كما يحمد للرافعى أنه كان أول من اهتم بذكر أسماء الشهداء والضحايا من ابناء الشعب

المصرى [١٤] والى جانب ذلك ظهـرت طبقة وجدت من فراغها وامكاناتها المـادية ما يسمح لها بالكتابة فى التاريخ ومن هؤلاء عمر طوسون [١٥] ، واحمد شفيق [١٦] واحمد زكى [١٧] فكتب عمر طوسون عدة مؤلفـات فى تاريخ مصر بصفة عامة وانجازات اسرة محمد على بصفة خاصة ومن اهم هذه المؤلفات .

١ — الصنائع والمدارس الحربية فى عهد محمد على باشا .

٢ — مالية مصر من عهد الفراعنة حتى الآن (١٩٣١ م) .

٣ — البعثات العلمية فى عهد محمد على باشا وفى عهدى عبـاس وسعيد .

٤ — المسألة السودانية .

٥ — تاريخ مديرية خط الاستواء من فتحها الى ضياعها ١٨٦٩ — ١٨٨٩ م (٣ أجزاء) .

٦ — ١١ يوليو ١٨٨٢ (وهو يـوم ضرب الاسطول الانجليـزى للاسكندرية) .

٧ — صفحة من تاريخ مصر والجيش البرى والبحرى .

---

(١٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ القاهـرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ص ١٥ .

(١٥) ابن محمد سعيد بن محمد على . ولد بالاسكندرية وتعلم فى سويسرا ، وآزر الحركة الوطنية بقلمه وماله .

(١٦) ولد بالقاهرة فى عام ١٨٦٠ ، وتخرج بمدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس ، عين وكيلا للجامعة الاهلية كما تولى رئاسة الديوان الخديوى فى عهد عباس الثانى .

(١٧) ولد بالاسكندرية فى عام ١٢٨٤ هـ وتلقى علومه العالية بمدرسة الادارة والحقوق ، وفى عام ١٨٨٢ عين مترجما فى وزارة الداخلية ، وتلقى أعمال التحرير والترجمة فى الوقائع المصرية ، ثم عين فى مجلس الوزراء بدرجة سكرتير أول ، وانعم عليه بالباشوية ، وقد ظل طوال حياته منكبا على متابعة بحوثه التاريخية .

٨ — أعمال الجيش المصرى فى المكسيك .

٩ — كلمات فى سبيل مصر .

١٠ — تاريخ الاسكندرية القديم وترعة المحمودية .

١١ — وادى النطرون ورهبانه واديرته .

١٢ — مختصر تاريخ البطارقة .

١٣ — ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الانجليزية .

١٤ — الأطلس التاريخى الجغرافى لمصر السفلى منذ الفتح الاسلامى الى الآن .

١٥ — فتح دارفور .

١٦ — الاسكندرية فى سنة ١٨٦٨ [١٨] .

وقد صنف عمر طوسون مؤلفاته بالفرنسية ، والعربية ويبدو انه استعان على تاليفها ببعض الكتاب فى ذلك الوقت [١٩] .

وكتب أحمد شفيق باشا أيضا عدة مؤلفات فى تاريخ مصر الحديث من أبرزها :

١ — مذكراتى فى نصف قرن .

٢ — حوليات مصر السياسية .

٣ — أعمالى بعد مذكراتى .

وبالنسبة لمذكرات شفيق فقد تناولت الفترة الواقعة بين ١٨٧٣ — ١٩٢٣ وهى فى ثلاثة اجزاء تناول الأول منها نهاية عصر اسماعيل الى انتهاء حكم توفيق ، وتناول الثانى فترة حكم الخديوى عباس الثانى حتى عزله أما الجزء الثالث فقد امتد الى عام ١٩٢٣ .

---

(١٨) للتفاصيل انظر قلينى فهمى باشا : عمر طوسون — حياته ، آثاره ، أعماله .

(١٩) خير الدين الزركلى : الاعلام جـ ٥ ص ٤٨ .

ولقد تميزت هذه المذكرات بالصراحة والوضوح أحيانا وبمسانده موقف الخديوى والاسرة الحاكمة احيانا اخرى فلم يستطع احمد شفيق على سبيل المثال التخلص من ولائه لاسرة محمد على عندما تحدث عن الثورة العرابية واتهم قائدها بالغرور وبانه كان السبب فى ضياع مصر ، وعلى كل حال فوجهة النظر هذه كان يتبناها البعض فى ذلك الوقت .

يضاف الى ذلك انه كان يرى فى الخديو توفيق الحاكم الذى يدافع عن حقوقه الشرعية ، وفى الخديو عباس الثانى الحاكم الوطنى الذى تحالف مع الشعب المصرى ضد الانجليز .

والمذكرات كتبت فى معظمها على طريقة الحوليات ، وتميزت بالعديد من الوان النشاط الاجتماعى والأدبى والسياسى وابرزت الجانب الوطنى بين افراد الشعب .

وعلى كل حال فقد دون شفيق مذكراته عن المشاهدات والحوادث التى وقعت تحت سمعه وبصره ، ومدى مشاركته فى هذه الأمور بحكم عمله فى القصر الخديوى كما كشف للمؤرخين عن الكثير من الغوامض غير المعروفة ومن هنا كانت مذكراته ذات فائدة هامة لتاريخنا الحديث وعن حوليات مصر السياسية فتتكون من عشرة اجزاء جمع فيها المؤلف العديد من الوثائق والتقارير والخطب السياسية مع نبذة قصيرة لتاريخ مصر منذ عصر محمد على حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذ فى سرد الحوادث بعد ذلك من الحرب الأولى الى عام ١٩٢٣ .

وقد قسم شفيق كل حولية من حولياته الى اثنى عشر بابا كعدد الشهور ، تضمن كل باب حوادث شهر من الشهور .

ومع أن حوليات شفيق تفتقر الى المنهج العلمى بشكل لا تصلح به أن تكون تاريخا للفترة التى تعرضت لها ، فانها تعد كمادة خام موثوق فيها ، كما انه يمكن أن يطلق عليها جريدة الجرائد المعاصرة فهى

ليست دراسة ولكنها تسجيل للحوادث الجارية تستهدف تيسير الرجوع اليهـا (٢٠) .

أما عن كتابه « أعمالى بعد مذكراتى » فقد جـاء متمما لمذكراتـه فتضمن العديد من الموضوعات السياسية والثقافية والاجتماعية وقد بدأه بالحديث عن المفاوضات المصرية البريطانية فتناول مفاوضات سعد زغلول ، ملنر وتبعه بالحديث عن مفاوضات عدلى — كيزن وتصريح ٢٨ فبـراير ١٩٢٢ وانتقل الى محادثات سعد ماكدونالد ١٩٢٤ وفشلها ، ومشروع محمد محمود هندرسون ومعارضه الوفد له كما انتقل الى معاهدة ١٩٣٦ واعلن عن ابتهاجه لتحقيقها .

ويمضى شفيق فى الحديث عن الجوانب الاجتماعية فى القصر الملكـى فتحدث عن الأفـراح التى اقيمت بمناسبة زواج فاروق ، والمصاهـرة التى تمت بين الاسرتين الملكيتين فى مصر وايران ، وانتقل بعد ذلك للحديث عن شئون التعليم فى مصر والبلدان العربية فيعـرض رأيه بوضوح وصراحة، واخيرا تطرق الى النظام الحزبى فى مصر موضحا عيوبه والطـرق الكفيلة بعلاجـه .

والكتاب فى مجمله زود التاريخ المصرى الحديث باضـافات مفيدة ، خصوصا وان صاحبه تجـرد فى الكثير من الاحيان من الانفعال الشخصى وان كانت الذاتية قد طغت فى بعض الاحيان على صاحبه .

وكتابات شفيق بصفة عامة هامة خاصة وان صاحبها يعتبر شاهـد عيان للكثير من حوادثها ، ومع ذلك فان حكمه على بعض الاحداث قـد ارتبط بموقعه كمسئول داخل القصر مما أبعده عن الموضـوعية فى بعض الأحيان ، فما كتبه عن العرابيين يعوزه الكثير من اعادة النظـر ، وما كتبه عن موقف عباس الثانى من الحـركة الوطنية يعوزه الكثير من الوضوح ، وحديثه عن الحياة النيابية المصرية جاء مبتورا .

---

(٢٠) عبد العزيز رفاعى : أحمد شفيق المؤرخ ، حياته وآثـاره ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ ، ص١٤٨ .

اما عن احمد زكى باشا فله عـــدة مؤلفات ، كما ان له بعض الترجمات وعن مؤلفاته نذكر :

١ — السفر الى المؤتمر .

٢ — اسرار الترجمة .

٣ — الدنيا فى باريس .

٤ — مصر والجغرافيا .

٥ — موسوعات العلوم العربية .

٦ — عجائب الاسفار فى أعماق البحار .

اما عن الكتب التى قام بترجمتها فهى عديدة نذكر منها :

١ — التعليم فى مصر لمؤلفه فيركامير .

٢ — تاريخ الشعوب الشرقية لماسبيرو .

٣ — آثار بلاد المشرق لماسبيرو .

٤ — الرق فى الاسلام لأحمد شفيق باشا .

٥ — ذيل الاغانى .

والى جانب ذلك فله مقالات متعددة بالعربية والفرنســية نشرت فى الصحف والمجلات .

وقد مثل احمد زكى مصر فى بعض المؤتمرات ، وقـــام باحياء الكتب العربية ، فطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات قام بمراجعتها بنفســه ، واحكم صلته برجالات العرب فى شتى الاقطار ، وتسمى بشيخ العروبة ، وسمى داره بيت العروبة .

---

(٢٠) انظـــر الزركلى ج ٥ ص ١٢٧ ، وعمر رضا كحالة : معجـــم المؤلفين بيروت ، دار المثنى ١٩٥٧ ص ٢٢٥ ، وسركيس : معجم المطبوعات صفحة ٩٧١ .

وعلى الرغم من كل هذه الجهود الطيبة التى بذلها هؤلاء ينبغى القول انه بالرغم من أنه يحلو للكثيرين من غير المؤرخين الكتابة فى التاريخ ، فان الدراسات التاريخية الحقة ليس من السهل كتابتها ، وقد كان تولستوى على حق حين ذكر فى رائعته « الحرب والسلام » ان التاريخ هو دراسة حياة الشعوب والبشر ، وان الامساك بهذه الحياة ووضعها فى كلمات أمر صعب بل قد يكون مستحيلا .

وقد ظلت الكتابات التاريخية على هذا النحو الى أن وصل الأمير أحمد فؤاد الى سدة الحكم فى مصر ، فشجع على بزوغ حركة النهضة التاريخية فى مصر ، بهدف الاشارة بجديه ابراهيم ومحمد على ووالده اسماعيل ، واحياء مركز اسرته بعد تدهورها فى نظر المصريين منذ ايام الخديو توفيق فبعد أن تولى الحكم وجه جل اهتمامه الى تشجيع الدراسات التاريخية فى مصر فأمر بتشكيل لجنة فى عام ١٩٢٥ م برياسة الدكتور حسن باشا نشأت لجمع ما فى القصر الملكى ودار المحفوظات العمومية بالقلعة والدور الحكومية من وثائق تتعلق بتاريخ أسرته وتصنيفها [٢١] واستقدم المستشرق الفرنسى « دينى » فى عام ١٩٢٦ لفحص الوثائق التركية وخاصة التى تتعلق بحروب الشام ، والفرمانات السلطانية الخاصة بأسرة محمد على [٢٢] وترجمتها الى العربية ، واستغل علاقته الشخصية مع رؤساء الحكومات فى أوربا ، واستنسخ تقارير قناصلهم فى مصر فى القرن التاسع عشر [٢٣] كما أمر بنقل الوثائق الخاصة بالفترة فيما بين بداية حكم محمد على وبداية الحرب العالمية الأولى من دار المحفوظات العمومية بالقلعة الى قصر عابدين فى مبنى اطلق عليه دار الوثائق السرية والمحفوظات التاريخية الملكية » بهدف اتاحة الفرصة لعدد من المؤرخين ليكتبوا تاريخ

---

(٢١) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٢ ، القاهرة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٤٩ ص ٢٤٨ .

(٢٢) محمود عباس حمودة : المرجع السابق ص ٤٠ — ٤١ .

(٢٣) أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشام — المجلد الأول ١٩٤٠ .

اسرته وفقا لتوجيهاته ورغباته [٢٤] . ولما كان الملك فؤاد لا يثق فى قدرة المؤرخين المصريين على القيام بهذا العمل فقد استعان ببعض الأجانب من المؤرخين وغيرهم ، ووعدهم بالمكافآت السخية [٢٥] اذا كتبوا تاريخ أسرته بالطريقة التى يرتضيها . وقد استجاب لطلبه كل من دوان Douin الفرنسى وانجلو ساماركو A,Sammarco الايطالى ، ودودول DodWell الانجليزى ، وكرابيتس Crabites الأمريكى وهانوتو Hanotau وشارل رو Charles Roux وغيرهم فكتب Douin كتابه المعنون Histoire Du Régne Du Khédive Ismail .

فى أربعة أجزاء نشرته الجمعية الجغرافية الملكية بمصر فى الفترة من ١٩٣٣ — ١٩٣٩ وأفرد فيه خمسة فصول كاملة تحت عنوان الاصلاح القضائى La Réforme Judiciaire

تحدث فيها عن جهود الخديو اسماعيل فى اصلاح القضاء المصرى والصراع الذى خاضه نوبار فى العواصم الغربية وفى الآستانة حتى تحقق له الموافقة على انشاء المحاكم المختلطة [٢٦] .

أما انجلو ساماركو فهو ايطالى اغدق عليه الملك فؤاد وابنه فاروق الكثير من مظاهر الرعاية فبعد أن قدمه أحد الموظفين الايطاليين بقصر عابدين الى الملك فؤاد على انه مؤرخ كبير يمكن الاستفادة منه فيما يريد كتابته أمر الملك فؤاد بضمه الى مجموعة كبار الأساتذة الأجانب الذين عكفوا على كتابه « موسوعة تاريخ مصر عبر العصور » وعرفته باسم Précis de L'Histoire d'Egypte

---

(٢٤) حموده : المرجع السابق ص ٤١ .

(٢٥) يذكر الدكتور محمد أنيس أن المؤرخ الانجليزى دودول ذكر له فى أثناء دراسته فى لندن أنه لم يتقاض سوى خمسمائة جنيه من الملك فؤاد على كتابه مؤسس مصر الحديثة ، وانه يرى أن هذا المبلغ أقل من الجهد الذى بذل فيه .

انظر : المجلة ، نوفمبر ١٩٦١ مقال للدكتور محمد أنيس تحت عنوان شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصرى الحديث .

(٢٦) انظر الجزء الثانى من الكتاب المذكور . الفصول من السادس الى التاسع صفحات ١٨٥ — ٢٨٢ .

وقد كتب ساماركو الجزء الرابع من هذه المجموعة وتناول فيه تاريخ عباس وسعيد واسماعيل فى الفترة من ١٨٤٨ الى ١٨٧٩ م وطبعه فى عام ١٩٣٥ كما اعتزم وضع مجموعة ينفرد بتاليفها باسم « تاريخ مصر الحديثة » .

Histoire de L'Egypte Modern

تتناول تاريخ مصر منذ جلاء الحملة الفرنسية عن مصر فى عام ١٨٠١ حتى بداية الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ ولم يظهر من هذه المجموعة سوى الجزء الثالث الذى يسجل فى معظمه سنوات حكم الخديو اسماعيل من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٨٧٥ .

وهذا الجزء ليس الا نسخة مكررة مما ورد فى الجزء الرابع الذى كتبه فى المجموعة السابقة الذكر مع اختلاف يسير فى الصياغة اللفظية .

ويحال الدكتور الشناوى الكتابة التاريخية لهذا المؤلف فيذكر انها سارت فى اتجاهين هما :

١ — الاشادة بأسرة محمد على .

٢ — أبراز دور ايطاليا فى تحديث مصر .

والجدير بالذكر انه بعد انضمام ايطاليا الى دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية أصدرت الحكومة المصرية قرارا بابعاد هذا المؤرخ عن مصر فى عام ١٩٤٠ (٢٧) .

وأما كرابيتس فكان يعمل قاضيا بالمحاكم المختلطة بمصر وقد كلفه الملك فؤاد بالدفاع عن والده اسماعيل وتفنيد المزاعم التى ذهب اليها ملنر وكولفن وكرومر من أنه كان مبذرا ولصا ، واذن له بالاطلاع على الوثائق المحفوظة فى الخزائن الملكية وغيرها .

---

(٢٧) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها الجزء الرابع ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٠٥٦ — ٢٠٥٨ .

وقد قام كرابيتس بهذه المهمة خير قيام وأخرج كتابه التى ترجم تحت عنوان « اسماعيل المفترى عليه » .

وعلى الرغم من استجابة المؤرخين الأوربيين والأمريكيين لرغبة الملك فؤاد فى تمجيد تاريخ أسرته ، وتبرير اخطائها وتصرفات حكامها ، وافتقادهم الى الموضوعية أحيانا والى الروح الأكاديمية أحيانا اخرى لا يستطيع أحد أن ينكر أنه بفضل ما كتبه هؤلاء ظهرت مجموعة نفيسة ومجلدات متعددة — ملأت العديد من رفوف المكتبات — كشفت عن العديد من الصفحات المجهولة فى تاريخ مصر واستطاعت التأثير على المفاهيم التاريخية فى دراسة تاريخ مصر الحديثة بطريقة يصعب التخلص منها (*) ، كما أنها سدت فراغا هاما فى دراسة حقبة من تاريخ مصر . ومن الملفت للنظر أنه لا أحد يدرى من الذى دفع الملك فؤاد الى القيام بهذه التجربة مع ان ثقافته لم تكن تتيح له التفكير فى هذا العمل وعلى كل حال فقد ظلت الحركة التاريخية المصرية تسير فى ركاب الأجانب حتى عين محمد شفيق غربال فى عام ١٩٢٥ أستاذ مساعدا بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) وبدأ يتدرج فى المناصب حتى شغل كرسى التاريخ الحديث فى الجامعة المصرية فى وقت كادت تكون فيه معظم الكراسى الجامعية وقفا على الأساتذة الأجانب ومن هنا بدأت عملية تمصير التاريخ المصرى ، ونقل الاشراف على الدراسات التاريخية من يد القصر والأجانب الى الجامعة ونتيجة لذلك بدأت تتكون المدرسة التاريخية المصرية التى ما زالت اشعاعاتها باقية حتى الان ، والتى صار للمؤرخين المصريين فيها لأول مرة وجهة نظر مصرية صحيحة فى كتاباتهم ، وقد بدأ الغرس الذى انبته غربال بعلمه وخلقه يترعرع وكان من نتاج ذلك ظهور العديد من المؤرخين المصريين الاكاديميين الذين ملئوا اقسام التاريخ فى الجامعات المصرية والعربية واستطاعوا أن يرتقوا بمستوى الدراسات التاريخية .

وقد بدأ غربال يتصدى لتحليل احداث وطنه تحليلا موضوعيا انتقاديا

(*) الواقع أن مصر عرفت بعض الاجانب الذين اظهروا تعاطفا واضحا تجاه الحركة الوطنية امثال جون نينيه وبلنت وبرودلى وتيودور روز شيتن .

لا يقل أصالة وقدرة عن أفضل المستويات التاريخية فى أوربا من ناحيـة عمق البحث والتحليل ، وقد ساعده على ذلك تمكنه من أصول فن التاريخ ، وادراكه الواعى لحقائق تاريخ وطنه ، وحبه العجيب للاطلاع فى شـتى فروع المعرفة الانسانية ، وايمانه الصادق بحرية الفكر .

ومع أن غربال قد تأثر بفلسفة استاذه المؤرخ الانجليزى « أرنولـد توينبى » فى ربط تفسير التطور التاريخى بدور الصفوة المتميزة فى مجالات النشاط البشرى وبنظرية التحدى والاستجابة فى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب فانه فى بعض كتاباته لم يتمسك بهذا التفسير وخاصة انه كان يؤمن ايمانا صادقا بحرية الفكر وباختلاف منابع الثقافة ، وهذا ما غرسه غربـال فى تلاميذه فقد رفض سياسة صب القوالب والتقليد ، وتمسك بتوجيـه ملكات تلاميذه وقدراتهم كل على حسب امكاناته لذلك يمكن القول أن مـا احدثه غربال يعـد منعطفا تاريخيا فى الاتجاهات الحديثة فى دراسـة التاريخ المصرى الحديث .

ومع أن مدرسة غربال قد نجحت فى تيسير التاريخ المصرى فانهـا ظلت بعيدة عن مفاهيم الفكر الاشتراكى فى التاريخ ، وعن دراسة تاريخ الحركات الوطنية والجماهيرية .

وعلى كل حال فبعد أن وضع غربال القواعد وأرسى البناء ظهرت فى مصر مدارس تاريخية متنوعة فى اتجاهاتها وأفكارها ففى جامعة القاهرة ظهر الدكتور محمد فؤاد شكرى بمؤلفاته المتعددة التى ركزت على مصر فى القرن التاسع عشر ، وبأفكاره حول تفسير التاريخ حيث يرى أن تفسير التاريخ عملية مستمرة وذلك فى ضوء ما هو متجدد دائما من تيارات فكرية ناشئة من تراكم الحقائق المستكشفة من بطون الوثائق والاسانيد والتى هى كذلك منبعثه من تطور المجتمع فى شتى مناحيه (*) .

وقد جمع الدكتور شكرى الى جانب غزارة المـادة عمق الفكـرة

(*) انظر كتابه : الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩ — ١٨٤٨ المجلد الاول .

واصالة الراى وبراعة التحليل فكان لا يقتنع بالسطحية فى معالجة الامور وانما يغوص فى اعماق المـــادة العلمية ليخرج منها الثمين من الافكار والى جانب ذلك كان استاذا معلما بكل معنى الكلمة يوجه طلابه بالراى السديد، والعلم الواسع ، والخبرة الأصيلة يعرض فكره ورايه فى ثقة العالم المتمكن من نفسه ، ويدير المناقشات والجلسات العلمية التى كان يحضرها نفيف من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية فى منزله بعد ظهـــر كل خميس يضيف خلالها من علمه ما يفتح الآفاق بين الباحثين (*) .

ومن ابرز تلاميذ مدرسة الدكتور شكرى محمود صالح منسى ، والسيد رجب حراز .

وفى جامعة القاهـــرة أيضا ظهرت مدرســـة التـــاريخ الاجتمـــاعى والاقتصادى فى مصر حيث تبنى الدكتور محمد انيس هذه المدرسة ، وحاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بابراز دور المقاومة الشعبية ورد اعتبـــار الشعب المصرى ، ومسيرته فى صنع الأحداث كما حاول التصدى لـــدور المدرسة الاستعمارية ، ووجه تلاميذه لدراسة الحركات الوطنية ، وثورات التحرر فى العالم العربى ، والقوى الاجتماعية كحركات الفلاحين والعمال والمثقفين .

ومن أبرز القضايا التى تعرضت لها هذه المدرسة وتجشمت المتاعب من أجل تحقيقها قضية المحافظة على الوثائق المصرية وقد تمكنت من تحقيق ما يلى :

أولا : استصدار قوانين تمنع تسرب الوثائق المصرية الى الخـــارج

ثانيا : تأسيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بهدف تجميع وثائق التاريخ المصرى المعاصر من مختلف الجهات والشخصيات واتاحة الفرصة للباحثين من داخل المركز وخارجه للافادة بها فى اعداد دراساتهم وقد تمكن

(*) محمود صالح منسى : قناة السويس بين اتباع سان ســـيمون وفرديناند دى دلسبس تحت عنوان « وفاء وتقدير » .

هذا المركز خلال اشراف الدكتور محمد انيس عليه فى الفترة من ١٩٦٧ — ١٩٧٥ من جمع الوثائق المشتتة المتعلقة بعصر الملك فؤاد وترتيبها وفهرستها ولعل اهمها تقارير الأمن والمراسلات بين البلاط الملكى وغيره من الجهات هذا بالاضافة الى تسجيل ما لدى السياسيين القدامى من معلومات تاريخية .

هذا عن اهم المدارس التاريخية التى ظهرت فى جامعة القاهرة ، أما عن جامعة عين شمس فقد تبنى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بصفة خاصة مدرسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر فوجه تلاميذه فى الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب بهدف تكوين كوادر منهم لشغل هذا التخصص ومن أبرز هؤلاء الدكتور عبد العزيز نوار والدكتور يونان لبيب والدكتور جمال زكريا .

ولعل اهم انجازات الدكتور عزت عبد الكريم كان انشاء سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس فى عام ١٩٥٥ للاشراف المتواصل على أبحاث طلابه ، هذا الى جانب رئاسته للجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٦ والتى بذل فيها من جهده ووقته ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتها منذ انشائها .

والجدير بالذكر أنه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تعرض تاريخ مصر الحديث للكثير من التشويه والتناقض ، فشوه تاريخ زعماء ما قبل الثورة وانحرف التاريخ المصرى عن مساره لفترة ، وبدأت مواكب النفاق تزحف للتسلق والتمسح بالثورة ومناهضة الحكم الملكى وكتب البعض المؤلفات لاسترضاء قادة الثورة ووضعوا أنفسهم تحت تصرف الثورة لا يكتبون ولا يدرسون الا اذا كان فيما يكتبون أو يدرسون مؤازرة للسلطة السياسية . وبلغ الأمر بالبعض أن قال ان تاريخ مصر الحديث يبدأ بثورة ٢٣ يوليو ، وما قبل ذلك يجب نسيانه ، واخذت الكتابات الملتهبة ضد اسرة محمد على تفرق الأسواق ولم يحد من طغيان هذه الظاهرة سوى أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية الذين حاولوا موازنة الأمور ، ووضع حقبة الثورة فى مسارها العام ، وتصحيح مفاهيمها . ومضت الحركة التاريخية فى تصحيح المسار بمقدار ما سمحت به الأمور ، ثم أخذت تجرى

مسرعة فى الاتجاه الصحيح أحيانا ، وفى الاتجاه غير الصحيح أحيانا أخرى، وكان لابد من وقفة لتقييم الأمور ، وقد حاول الدكتور عاصم دسوقى فى دراسته الجريئة « مصر المعاصرة فى كتابات المؤرخين المصريين — دراسة بين الكم والكيف » (٣٩) القيام بهذا العمل ، وكانت النتيجة حدوث ضجة وردود فعل متشنجة ضده بين العديد من المؤرخين المصريين نتيجة لتقييمه الصريح للمدرسة التاريخية المصرية ولأبحاث بعض المؤرخين المصريين عن تاريخ مصر المعاصرة بشكل لم يرض الكثيرين منهم .

ونتيجة لذلك وجهت اليه الانتقادات اللاذعة لدرجة يصعب معها قيام آخرين بتكرار هذه المحاولة خشية ان يواجهوا ما واجهه الدكتور عاصم دسوقى ، مع العلم بأن النقد العلمى الهادف — سواء أصاب فيه صاحبه أو أخطأ — يجب أن يتقبله هؤلاء بصدر رحب أو بردود هادئة تصلح المسار ، وتوجه الأمور الى الطريق الصحيح وخاصة أن المدرسة التاريخية المصرية ما تزال فى حاجة الى وقفة صريحة مع نفسها لتقييم تجربتها ، والى مؤرخ جرىء يستطيع أن يضع النقاط على الحروف دون خشية من أغضاب هذا المؤرخ أو ذاك .

---

(٣٨) صدر عن دار الحرية بالقاهرة .